المحاضرة الأولى

شرح كتاب الإبانة الصغرى للإمام ابن بطة – رحمه الله تعالى –

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا المصطفى محمدًا عبدُ الله ورسوله، صلوات الله وتسليماته عليه، وعلى آله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين أما بعد :

فإنَّ أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ نبينا محمدٍ -**صلى الله عليه وسلم**- ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

نشرع – **بحول الله وقوته** - في مدارسة سِفرٍ من أسفار العقيدة السلفية النقية، من الكتب الأثرية لأئمة الإسلام والسنة والجماعة، ووقع الاختيار لكتاب **الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة** ، للإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطةَ العكبري – **رحمه الله وطيب ثراه** – ، والإمام ابن بطة العكبري – **رحمه الله** – لا يحتاج إلى مزيد تعريف؛ فهو من أعلام المذهب الحنبلي في الأصول والفروع.

فنبدأ مباشرة في متن الكتاب، النسخة التي معنا بتحقيق علي حسن بن عبد الحميد الآثري، ويوجد فيها متن الكتاب فقط، من غير أي تحشية ومن غير أي إضافات، مما يسمونه تخريجًا، فنبدأ في صفحة واحد وعشرين في قوله بسم الله الرحمن الرحيم...........

الكلام من أوله في الحمد والثناء على النبي -**صلى الله عليه وسلم**-، وآل البيت والتابعين وأهل السنة أجمعين، لا يحتاج إلى كثير إضافة وإفاضة، لكن عندنا فقط لقطة بسيطة في قوله : **أما بعد إني لما رأيت ما قد غير الناس وأظهروا، وغلب عليهم فاستحسنوا من فظائع الأهواء وقَذائِع الآراء،** – الفظائع والقذائع كلمتان متقاربتان –، ولكن القذع : سوء القول من الفحش ونحو ذلك، يعني الكلام البذيء ونحو هذا، أو الكلام الفاحش في حق مسائل الاعتقاد.

وتحريف سنتهم وتبديل دينهم حتى صار ذلك سببًا لفرقتهم، إذًا هنا الإمام – **رحمه الله** – يعطي مقدمة في بيان تحقق نبوءة النبي - **صلى الله عليه وسلم** -، حيث قال " **ستفترق هذه الأمة على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة** " فقال إن من سبب

الفرقة مما استقرأه أهل السنة وعلماء الأمة من الملة، تحريف السنن وتبديل الدين، وهو أول سبب من أسباب الافتراق بين المسلمين – تحريف السنن – .

والمقصود بالسنن هنا في كلام المتقدمين ونحن نعلم أن الإمام ابن بطة العكبري – رحمه الله – من علماء القرن الرابع الهجري، توفى سنة ٣٨٧ هـ، وهو من علماء السلف - رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم –.

ولا شك أنّ الإمام ابن بطة في رحلة الكتاب لمن قرأ ترجمة الإمام في أول الرحلة، كان إمامًا في السنة ضعيفًا في الرواية، وهذا معروف كثير جدًا، في باب الرواية والتحديث هذا الرجل ضعيف الرواية، فنحن لا نأخذ منه أسانيد يرويها من عند نفسه، وما كان ضعيفًا رددناه عليه، وما كان صحيحاً قبلناه.

إنما في باب الملة والشرعة فإنه إمام في السنة، إمام في المنهج، إمام في المذهب، الذي يتبع الإمام أحمد لا يُنازع في ذلك، وكل من ترجم له – رحمه الله – يُقرر هذه المسألة : أنه كان إمامًا في الشرعة، كان إمامًا في الملة – رحمه الله وطيب ثراه –، من حسن خلق وحسن ديانة، وسمت وهدي وورع، وخوف وقوة في الحق، وهذا كلام لا نحتاجه كثيراً في المقدمة، فأعلام السنة – رحمهم الله – من الديانة والمكانة بالمنزلة العليّة.

فهنا يقول إن من أسباب الاختلاف : تحريف السنن والمقصود فيها المنهاج الأساسي، وتبديل الدين يعني شريعة وعقيدة، وطبعًا هذا لا يأتي من عشية وضحاها، تبديل الدين هذا يأتي نتيجة خطوات الشيطان التي حذَّرَنا منها رب العالمين - سبحانه وتعالى -؛ **حتى صار ذلك سببًا لفرقتهم، وفتح باب البلية والعمى على أفئدتهم**، يُقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسن.

والإنسان إذا أُبتُلي بالأهواء، لم يعد يميز بين الحسن والقبيح، ولا بين الخير والشر، ولا بين السنة والبدعة، حتى يُعمق أحدهم فلا يُفرق بين التوحيد والشرك، بل يظن عين الإلحاد والكفر برب العباد، هذا هو أصل الدين وخُلاصة ملة المسلمين عياذًا بالله، ولا يترك الشيطانُ صاحبَه؛ حتى يسجنه في قعر جهنم معه.

فيقول هنا : **حتى صار سببًا لفرقتهم، وفتح باب البلية والعمى على أفئدتهم، وتشتيت ألفتهم** ﴿ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ المائدة: ١٤ **وتفريق جماعتهم؛ فنبذوا الكتاب وراء ظهورهم، واتخذوا الجهال والضلال أربابًا في أمورهم، من بعد ما جاءهم العلم من ربهم،** وهنا بيان لمدى الذم، متى يكون الإنسان الذي انحرف عن جادة الطريق مذمومًا، من بعد ما جاءهم العلم

من ربهم - سبحانه وتعالى -، إنما الإنسان لو ضلَّ عن الهدى لِفقد بيان، لِعدم البلاغ، سوف يكون معذورًا عند ربنا - سبحانه وتعالى -.

قال : استعملوا الخصومات فيما يدعون، وقطعوا الشهادات علينا بالظنون، واحتجوا بالبهتان فيما ينتحلون، يعني عقائد أهل الأهواء كلها ظنون، وتخمينات مما يظنونها براهين وقطعيات، وليست عند النظر بأدنى نظر من ذلك ، **وقلدوا في دينهم الذين لا يعلمون.**

حينما نأتي ونرى رؤساء أهل الأهواء، كلهم أهل ضلالة وأهل غيّ، يعني حتى السيرة الذاتية لكل واحد منهم مما تقف له الجلود والأشعار، **وقلدوا في دينهم الذين لا يعلمون فيما لا برهان لهم في الكتاب ولاحجة عندهم من الإجماع فيه.**

ثم قال : **وايم الله لكثيرٌ مما ألقت الشياطينُ على أفواهِ إخوانِهم الملحدين، من أقاويل الضلال وزخرف المقال، من محداثات البدع بالقول المخترع: بدع تشتبه،** – يبقى من أول " **لكثير** " إلى " **بالقول المخترع** " هذا مبتدأ، خبره " **بدعٌ تشتبه** " –، **على العقول وفتنٌ تتلجج في الصدور،** المقصود هنا على أفواه إخوانهم الملحدين.

لفظ الإلحاد في كلام العلماء المتقدمين أوسع بكثير جدًا من لفظ الإلحاد الذي هو شائع في عصرنا الآن، الإلحاد المعاصر الآن هو إنكار الربوبية، أنه لاخالق لهذا الكون، وهذا لا يُعرف في الملل فضلاً عن أن يكون معروفًا في السلف – رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم – ، هذه طفرة فكرية، طفرة عقلية في بني آدم، نوع من أنواع المرض المُقنَّع، فهذه حالة مرضية: حالة ضلال عقلي، حالة مرضية، خلل في البنية الفكرية للإنسان، خروج عن دائرة السلامة الصحية في باب العقل والتفكير، ألا وهو إنكار الرب - سبحانه وتعالى ، وإنكار الخالق - سبحانه وتعالى -.

لكن السلف – رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم – حينما تكلموا عن معنى الإلحاد لم يتكلموا بالمعنى الجديد هذا، تكلموا أن الإلحاد معناه الانحراف عن جادة الطريق، بأي درجة انحراف لأن الإلحاد مأخوذ من لفظة أَلْحَد بمعنى حَرَفَ أو حَرَّفَ، ومنه قول النبي - صلى الله عليه وسلم – " **اللحد لنا والشق لغيرنا** " اللحد الذي هو الحفر المائل عن جادة القبر، حينما نحفر القبر على سمته بالطول من أعلى لأسفل، أي رأسي يسمى شقّ، نحفر يمينًا قليلًا، أو يسارًا قليلًا يسمى لحد، اللحد لنا والشق لغيرنا، فهنا بمعنى الانحراف، وربنا حينما قال ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٠ ،

ليس المقصود به الإلحاد المعاصر أيضاً، المقصود به الانحراف عن جادة ما أنزله الله - **تبارك وتعالى** - على نبيه - **صلى الله عليه وسلم** - .

وبناءً على ذلك الإلحاد درجات ونصحح ونقول دركات بعضها أخف من بعض، أو بعضها شرٌ من بعض، لكن قد يصل إلى حد الكفر الصراح، وقد يصل إلى حد البدع التي هي بالنسبة لغيرها خفيفة، فإذًا ننتبه إلى أن مصطلح السلف في لفظة الإلحاد غير المصطلح الجديد.

يقول هنا : **وقدمت بين يدي ذلك التحذير من الشذوذ والتخويف من الندود،** الشذوذ هنا أيضًا في قول السلف الماضين – **رحمهم الله تعالى** –: بمعنى الشذوذ عن سمت أهل العلم – **رحمهم الله تعالى** – والتفرد، وعدم اعتبار ما عليه الأكثرون، أو ما عليه إجماع أهل الملة من سبيل المؤمنين، وفي ذلك يقول الله - **سبحانه وتعالى** -﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾ النساء: ١١٥ ، وفي الأثر : ومن شذَّ شذَّ في النار ، الشذوذ بمعنى التفرد، التفرد عن جماعة أهل الحق، التفرد عن سبيل المؤمنين، التفرد عن البينات المحكمات في كتاب رب الأرض والسماوات، وسنة النبي - **صلى الله عليه وسلم** - المحكمة التي لا تشتبه على من بلغته.

فإذًا هنا كلمة شذوذ تعني الانحراف عن جادة المحكمات، والتي هي الإجماع ونصوص الكتاب ونصوص السنة التي لا تحتمل تأويلًا، **والتحذير من الشذوذ والتخويف من الندود،** الندود الذي هو منه في الحديث " **إن لهذه الإبل أوابد كأوابد الوحش فإذا ندَّ بعيرٌ منها فافعلوا به هكذا** "، صحابيٌّ من الصحابة مع النبي - **صلى الله عليه وسلم** - في سفرة وله بعير، والبعير تَوَحَّشَ وهرب وجرى بعيدًا، فهذا مال سيتلف ولن يقدر الحصول عليه، فتبعه رجلٌ بسهمٍ أو برمحٍ فأثبته – عقره –، رماه بالسهم فمات، رماه بالرمح مات من فوره، فالنبي - **صلى الله عليه وسلم** - أذن له في أكله وقال " **إن لهذه الإبل أوابد كأوابد الوحش فإذا ندَّ بعيرٌ منها فافعلوا به هكذا** ".

فيقول : **التخويف من الندود** يعني الإنسان قد تأتيه موجة هوجة كهوجة الحيوان، ويتوحش بعد استئناس، وتأتيه نوبة، فهذا تحذير من الندود عن جادة الطريق، والتخويف من الندود، **وما أمر الله** – عز وجل - **به رسوله** - صلى الله عليه وسلم - **من لزوم الجماعة** هذه واحدة، **ومباينة أهل**

الزيغ والتفرق والشناعة هذه الثانية، **وما يلزم أهل السنة من المجانبة والمباينة لمن خالف عقدهم ونكث عهدهم.**

لأجل ذلك حينما تقرأ الكتاب بالتفصيل اسمه الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين، المعروف بالإبانة الصغرى ، وطبعاً الإمام ابن بطة له كتاب أكبر من هذا وأوسع، وفيه تخريج وآثار وتفريع وشرح وتوضيح اسمه : الإبانة الكبرى ، ونحن قد عمدنا إلى الكتب المسندة، و الكتب الأثرية السلفية؛ لأنها أصبحت نسيًا منسيًا، أو مهجورة وقد نأخذ بعض هذه الكتب، مثلاً لأجل إيضاح بعض الإشكالات فيها؛ لأن كتابًا مثلًا يكون فيه نوع دخن في جزئية معينة، فلو تُرك والطالب، فالمسألة سوف تكون صعبة جدًا، وسنخرج بنظرية من كان شيخُه الكتاب، كان خطؤه أكثرَ من الصواب.

فمشاكلنا الجديدة الآن أن أحدًا سيعكف على الكتب الآثرية المروية، والأسانيد السنية في هذا الباب، ويبني تصورًا فرديًا، ويخرج ويحارب الدنيا كلها بهذا الكلام، ولا يدري أن لهذه المتون قواعد، ولهذه الأصول شروح، وتوجيبهات في كتب أهل السنة الحقيقين بها – رحم الله من مات منهم وحفظ الله من عاش ونفع به الإسلام والمسلمين –. فهنا نقول أن في الكتب المسندة القديمة، توجد عراقيل مخوفة ، تحتاج أن تكون على أرضية صلبة، وتفهم كلام أهل العلم في منظور أوسع من مجرد الرواية، ومن مجرد الكتاب، ومن مجرد المتن، ومن مجرد المخطوط أو المطبوع.

فالضيخ هنا في كتابه انتبه إلى مسألة المباينة، وهو أكثر جدًا جدًا في الجزء الأول من الكتاب من آثار السلف – **رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم** –، أكثر من مائة وعشرين أثر عن السلف – **رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم** –، في التنفير من البدع وأهلها، والحث على مجانبة الأهواء، ومن سار على سبيلها، فإذًا نقول : **ما يلزم أهل السنة من المجانبة والمباينة لمن خالف عقدهم**، وسنعرف قاعدة التفريق بين النوع والمعين، فكل الكلام الذي تسمعه، هذا وكل الآثار المروية عن السلف – **رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم** –، في حدة الموقف جدًا مع أهل البدع والأهواء حتى قال قائلهم : لا تؤاكلوهم، لا تشاربوهم، لا تناكحوهم؛ إنا نحكي كلام اليهود والنصارى، ولانحكي كلام هؤلاء.

كل هذا على سبيل العموم لا التعيين، فلا بد في ذلك من التفريق بين النوع كجريمة، والعين كإنسان الذي هو مجرم أم مُبرَّأ أم مُتهَّم، ولا يحتاج دليلًا هذا أمر ثانٍ، ولذلك نحن نقول : القراءة في هذه المتون وفي هذه الكتب، دون قواعد أهل السنة في المعاملة، في أحكام الوعد والوعيد، وأحكام التبديع والتكفير والتفسيق

إلى آخره، يؤول بالطالب أو الناظر إلى الغلو، وطبعًا هذا ليس تقصيرًا من أهل السنة؛ لأنه اعتمد بعض الكتب دون بعض، ولم يلتفت إلى القواعد المرعية والضوابط السلفية في هذا الباب، **ثم على إثر ذلك شرح السنة من إجماع الأئمة، واتفاق الأمة، وتطابق أهل الملة، فجمعت من ذلك ما لا يسع المسلمين جهله،** والذي هو ما يتعين علمه، ما يكون علمه واجباً على التعيين، هذا معنى ما لايسع المسلمين جهله، ليس هو مما يُعلم من الدين بالضرورة.

عندنا المعلوم قسمين: معلوم من الدين بالضرورة ومستفاد بالبحث والنظر، المعلوم من الدين بالضرورة الذي يعرفه العامي والمتعلم، وليس بحاجة لمذاكرة وليس بحاجة لإقامة حجة، وليس بحاجة لنظر في دليل، فجميع المسلمين يعلمون أن ربهم الله الذي في السماء وأن نبيهم المرسَلَ إليهم محمدٌ - **صلى الله عليه وسلم** - وأن قبلتهم الكعبة، وأن الكذب حرام، وأن الزنا حرام، وأن الصيام فريضة، وأن الصلاة فريضة في الجملة، سواء صلَّى أم لم يصلِّ، ولكن هذه معلومات قطعية عند أهل السنة والجماعة، وأن الجنة والنار مما وعد الله - **عز وجل** - به عباده، من أثاب فله الجنة، ومن عصى في النار، في الجملة هكذا من غير أدلة ولا استطرادات، ولا مناقشات، هذه مسائل معلومة من الدين بالضرورة، لا تحتاج إلى بحث ولا إلى نظر.

والذي غير هذا ما يحتاج إلى بحثٍ ونظر، ويُستفاد العلم فيه بالنظر في الأدلة، وسؤال أهل العلم سواء كان مواضع إجماع أو مواضع خلاف، ودرجات الخلاف فيه، هذه مرحلة ثانية، فإذًا ما لا يتسع المسلمَ جهلُه أكبر من المعلوم بالدين من الضرورة أم أصغر؟! أكبر منه، ما لا يسع المسلم جهله سيشمل المعلوم من الدين بالضرورة، وما يجب عليه تعلمه في خاصته، أحكام العبادة، ما تصح به وما تبطل، وأحكام التوحيد ومنافاة الشرك، السنن والبدع، وما يلزمه في ذلك مما يتعين في كل شخصٍ على حدته، لأن الذي يجب عليَّ غير الذي يجب عليك، والذي يجب على المرأة في البادية غير الذي يجب على الرجل في الحاضرة، والذي يجب على الشاب الحدث ليس كالذي يجب على من تصدى لنصيحة الناس، ووعظهم، وإفتائهم، والقضاء بينهم، تختلف الواجبات باختلاف الحالات.

فإذًا **ما لا يسع المسلمين جهلُه، ولا يعذر الله** - تبارك وتعالى - **من أضاعه،** وهذا بعد بلوغه، **ولا ينظر إلى من خالفه، وطعن عليه ممن دحضت حجته، لـمَّـا استهزأ بالدين وزلت قدمه لـمَّـا ثلب أئمة المسلمين،** فنحن نقول هنا إن مسألة : لا عذر لمن استهزأ بالدين إذا كان عنده دين ، لأن الإشكالية أين تُوجد؟ أن حكم المستهزيء في الدين كفرٌ، لا يُختلف في ذلك، ولكن الإشكال: إنه حين استهزأ، استهزأ في الدين أم استهزأ بك أنت؟! أم استهزأ بحديث لا يظنه حديثًا؟! ولأما بآية لم يسمعها إلا منك ويشك بأنه كلام الله - **سبحانه وتعالى** -؟!، إذًا نفرق في المسألة،

فليست المسألة هي مسألة بيستهزئ في الدين ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥)﴾ التوبة: ٦٥

يقول لك الآية واضحة وصريحة، طبعًا فيما كان دينًا عند من يتكلم، إنما حينما تقول له الشرع فيه كذا وكذا، ثم يؤلف لم نسمع هذا الكلام، أنت ستجعله دينًا، ماذا تصنع في نفسك؟ ماذا تقول؟ إأنت لا تفهم أي شيء أصلاً، فحينما نأخذ مثل هذا الكلام، ونقول حين استهزأ بالدين وهو غير معذور، **ولا يعذر الله** - تبارك وتعالى - **من أضاعه،** نقول له: لا، هل بلغه أن هذا دين أم لا؟! **وزلت قدمه لما ثلب أئمة المسلمين،** ثلب: بمعنى انتقص، والثلب أصله الشرخ أو الكسر في الإناء ونحوه، لكن المقصود به عدم احترام جناب أهل العلم، بالانتقاص والطعن والذم وغير ذلك، **لما ثلب أئمة المسلمين، وعميَ عن رشده حين خالف سنة المصطفى والراشدين المهديين،** وأيضًا معنى كلمة السنة ليست بمعنى المستحبات، والهدي الظاهر واللحية والسواك فقط، لأن السنة بالعموم الشريعة والعقيدة.

بعد ذلك سندخل في الكتاب، وهو قد قسمه إلى فصول أساسية: أول هذه الفصول: المنهج والاتباع وخلاصته، سنجد كل الكلام يدور حول قاعدتين أساسيتين : لزوم الجماعة، ومجانبة أهل الأهواء فقط، فكل هذا الفصل إلى أن ينتهي معنا، وفصل طويل وليس بقصير، لزوم الجماعة، ما هي الجماعة؟ الجماعة التي قال فيها النبي - صلى الله عليه وسلم -: **عليكم بالجماعة**، وسوف نفهم معنى الجماعة وسوف نشرح مرة ثانية معنى الجماعة لغةً وشرعًا، ومعنى الجماعة حسًا ومعنىً في كلام أهل العلم، فخلاصة الفصل الأول من فصول الكتاب : المنهج والاتباع وهو لزوم الجماعة ومجانبة أهل الأهواء.

يقول **أولاً: ما أمر الله** - عز وجل - **به وذكره في كتابه من لزوم الجماعة، والنهي عن الفرقة فقال** - عز وجل - ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران: ١٠٣ ، فإذًا هنا أول معنى من معاني الجماعة في القرآن : حبل الله ، **ثم تهدد الله** - عز وجل - **بالوعيد من فارق جماعة المسلمين،** من هم جماعة المسلمين؟ كل أهل الإسلام الذين ورثوا الإسلام عن رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ففارقهم وباينهم – أي أرتد عن طريقهم –، **ثم تهدد بالوعيد من فارق جماعة المسلمين فقال سبحانه** ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ

وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٥، **فأمر** - تبارك وتعالى - **بالاجتماع على دينه وطاعته،** يعني أمر بالاجتماع وأمر بالطاعة، أو أمر بالاجتماع على الدين والطاعة، يجوز المعنيان.

وقال - **عز وجل** - ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ البينة: ٥، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ الصف: ٤، هنا إشارة إلى الاجتماع الحسي، الاجتماع البشري، فهنا إذًا إشارة إلى الاجتماع حال القتال، وحال الجهاد وطبعًا هذه أعلى صورة من صور العمل الجماعي البشري، فيكون قتال جنبًا إلى جنب، وفريق تحت قيادة واحدة، وفي رفع راية التوحيد ومحاربة أهل الشرك والتنديد.

٢- قال : وما أمر به المؤمنين من مباينة من خالف عقدهم، ونكث عهدهم، وطعن في دينهم، سنقف أولًا عند الأمر في الجماعة، في قول الله - **عز وجل** - ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ آل عمران: ١٠٣ ، نعرف ما هو معنى الجماعة التي قال فيها النبي - **صلى الله عليه وسلم** - **(عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية)** يعني يأكل القاصية من الغنم، وليس من الغنم القاصية، إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، فإذًا مَن المأكولة؟ القاصية، القاصية التي شذت وندت ، وقول النبي - **صلى الله عليه وسلم** - **عليكم بالجماعة** مثل ما درسناها في ملف العمل الجماعي، سوف نقسم كلمة الجماعة لقسمين : الجماعة بالمعنى الحسي والذين هم آدميين مجتمعين سويًا، والجماعة بالمعنى الشرعي.

الجماعة بالمعنى الحسي والجماعة بالمعنى الشرعي، كل كتب السنة والجماعة القديمة تتكلم على المعنى الشرعي، وليس على المعنى التكتلي، التجمع البشري ليس هو المقصود، المقصود في كلمة عليكم بالجماعة بالأصالة إنما تكون الجماعة التي هي المنهج، ويلزم لهذا المنهج وإقامته أن نجتمع على كلمةٍ سواء، وألَّا نتفرق وسوف نرى أن هذه صورة وهذه صورة، نأخذ التخطيط كالمعتاد ونفهم معنى الجماعة حساً ومعنىً في آثار السلف – **رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم** – من خلال قول النبي - **صلى الله عليه وسلم** - : **عليكم بالجماعة.**

ومعنى كلمة عليكم : اسم فعل أمر بمعنى الزموا الجماعة، ما هي الجماعة التي أمر بها النبي - **صلى الله عليه وسلم** - بالتزامها؟ نقول الجماعة لها معنيان : معنى شرعي ، ومعنىً حسي ، يعني أنا أريد اجتماعًا منهجيًا، اجتماعًا فكريًا، اجتماعًا شرعيًا، اجتماعًا عقديًا ، وأريد اجتماعًا حسيًا يكونون مع بعضهم البعض، لا يفترقوا، الجماعة بالمعنى الشرعي تساوي مجموعة معاني موجودة في آثار السلف.

فنقول : المنهج هذا معنى من معاني الجماعة، ونقول : حبل الله كما ورد في الآية القرآنية التي استدل بها الإمام ابن بطة – **رحمه الله** – ، ونقول الجماعة : الكلمة السواء ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ آل عمران: ٦٤، وسوف نجد الجماعة : سنة النبي - **صلى الله عليه وسلم** - ، فنقول الجماعة هي السنة النبوية، وأقصد بالسنة النبوية ليست المستحبات، السنة النبوية : شريعة النبي - **صلى الله عليه وسلم** -، ويدخل في معنى الجماعة بالمعنى الشرعي : سنة الراشدين لما قال النبي - **صلى الله عليه وسلم** - : **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**، ونجد الجماعة في هذا المعنى في قول النبي - **صلى الله عليه وسلم** - **: اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكرٍ وعمرَ**، هذا هو المعنى الشرعي، والذي باختصار نستطيع أن نقول أنه "المنهج"، فحينما يأمرنا النبي - **صلى الله عليه وسلم** - بهذا الأمر، فهل قوله الزموا الجماعة أو عليكم بالجماعة – وهذا اسم فعل أمر بمعنى الزموا – هل هذا الأمر يفيد الوجوب العيني؟ أم الوجوب الكفائي؟ أم المسألة فيها تفصيل؟

بالمعنى هذا الانضمام إلى الجماعة، والتزام الجماعة، وعليكم بالجماعة، بالمعنى هذا فرض عين على كل مسلم، فنقول: والتزام الجماعة في هذا المعنى، أو بهذه المعاني، أو أحدها فرض عين على كل مكلف، ثم يأتي الجماعة بالمعنى الحسي، وهذا درسناه في حكم العمل الجماعي وهذا موضع آخر.

وسنجد الجماعة في المعنى الحسي ينقسم إلى قسمين أيضاً من أجل أن تتم الفائدة، الجماعة بالمعنى العام والجماعة بالمعنى الخاص، الجماعة بالمعنى العام: والتي هي التزام الإمامة العظمى في المسلمين وإقامتها، بالمعنى الخاص سنجدها أقسامًا: منها ما هو فرض كفاية، ومنها ما هو فرض عين، ومنها ما هو سنة مستحبة، فإذًا الجماعة بالمعنى الحسي هنا أن نجتمع.

فحينما يقول النبي - **صلى الله عليه وسلم** - : **اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه** (مستحب)، فلو أكلت بمفردي ليس حرامًا عليَّ، لو أكل كل واحد في طبق

بمفرده ليس بحرام عليه، إذًا هل يجب علينا أن نأكل جماعة مع بعض؟ لا، ولكن يُستحب، أفضل لأجل أن نستشعر بركة الطعام.

وهنا فرض عين على الإنسان إذا قلنا: أن صلاة الجمعة فرض عين على الحر المسلم البالغ العاقل الصحيح المقيم؟ نعم في قول عامة أهل العلم، صلاة الجمعة فرض عين على كل رجل ذكر حر بالغ مسلم عاقل صحيح مقيم.

فرض الكفاية: ندخل في الجماعات التي هي فرض كفاية كالجهاد مثلاً، جهاد الطلب فرض كفاية، وصلاة العيد على قول بعض أهل العلم، صلاة الجماعة على قول بعض أهل العلم، العمل في المؤسسات الدعوية الإصلاحية، وإقامة المعاهد وإقامة المساجد، وإقامة المؤسسات الدعوية الإصلاحية والإغاثية وغيرها، كلها فرض كفاية وليس بالضروري على كل مسلم يكون داخل الكيان، وداخل الجماعة، وداخل التنظيم، لكن المطلوب وسيتواجد، وسينتفع بالتواجد إذًا يجب هذا عليه، وقد يتعين على بعضهم، وهذه مسألة فيها فيها بحث، ولكن الذي يخصنا في بحث الكتاب : عليكم بالجماعة، بالمعنى الشرعي والذي هو بمعنى المنهج، حبل الله، الكلمة السواء، السنة النبوية، سنة الراشدين أبو بكر وعمر، أهل العلم – رحمهم الله تعالى – إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

نرجع للكتاب مرة أخرى، فإذًا هنا بعد تحقيق الجماعة، سنعرف هنا أسباب الافتراق، وكيف يشذ الإنسان عن الجماعة كما أشار في بداية المقدمة إشارة خفيفة، سننقل الكلام للإمام ابن بطة العكبري – رحمه الله – في الإبانة الكُبرى باختصار شديد، قال ابن بطة رحمه الله في الإبانة الكُبرى :

اعلموا إخواني أني فكرت في السبب الذي أخرج أقوامًا عن السنة والجماعة واضطرهم إلى البدعة والشناعة؛ فوجدت ذلك من وجهين الأول: البحث والتنقير وكثرة السؤال عمّا لا يعني، ولايضر العاقل جهله، ولا ينفع المؤمن علمه. ولا شك التحذير من هذا الأمر هو عبقرية من هذا الإمام، الذي يعرف مشاكل المسلمين في عصره أين توجد، وللعلم في كل عصر ستجد هذا سببًا رئيسًا أن يشذ الإنسان عن طريق الالتزام، وطريق التدين، وطريق الاستقامة، وطريق الاحترام للأدلة الشرعية ويتبع طريق الأهواء، فهو في أي مكان يبحث وينقب، ولا يسكت أبداً حتى يهوي به الشيطان إلى قعر الهاوية. فإذاً يقول : البحث والتنقير وكثرة السؤال، وهذا في فصل بمفرده في ذم كثرة السؤال سيأتي في ثنايا الكتاب، عمَّا لا يعني، والنبي - صلى الله عليه وسلم - قال لنا في اختصار شديد : **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.**

تعالَ في عصرنا الآن، في عصر الإنترنت والشبكات والصفحات والمواقع والروابط والمقاطع إلى آخره... أي حدث في أي مكان في الدنيا لأي طائفة من الناس مسلمين أم غير مسلمين، ما رأيك في الموضوع الفلاني، فما الذي سيضر السائل، وما الذي سيضر المجيب، وما الذي سيغشلنا جميعًا في القضية؟ الأحداث هذه ومثلها وأكثر منها تمر عبر التاريخ، هي القصة فقط أن الناس انفتحت على انفجار معلوماتي، وأصبح في نوع من أنواع الفراغ النفسي، ولا يوجد عنده انشغال بما ينفعه، فيتكلم في كل شاذة وفاذة، يتكلم في كل شاردة وواردة، فبدأ يبحث وينقب، ويحلل أشياء لا ناقة له فيها ولا جمل.

فإذاً البحث والتنقير وكثرة السؤال عمَّا لا يعني، ولا يضر العاقل جهله، فلو أنني قعدت وعمّرت عمر نوح ولم أفهم هذه المسألة، ولم أقرر تقريرًا في هذه القضية، أو في هذه النازلة، أو في هذه الأزمة، لن يضرني، ولا يقل في ميزان المتقين أن الإنسان لو ألف مسألة من هذا النوع، يأتي له في كل دقيقة، ولا يتكلم في واحدة منهم ولا يعرف عنها شيئًا، هذا لا يضر في ميزان المتقين، فإذًا : لايضر العاقل جهله ولا ينفع المؤمن علمه، فهل تعلم أنت ما الذي حدث في أمريكا، والسند والهند، وداخل محافظتك وخارجها، والكبير والصغير، وحين تعرف، ما الذي ستصنعه ؟! ستقول : لاحول ولا قوة إلا بالله!! لماذا لا تقول لاحول ولا قوة إلا بالله من غير تعب، وتوفر وقتك ، فإذاً هذا هو السبب الأول.

تكملة ما قاله الإمام في الإبانة الكبرى **والثاني : مجالسة من لا تؤمن فتنته وتفسد القلوب صحبته،** وطبعًا الآن عندنا خليل السوء يأتي لنا بالبيت، ويأكل ويشرب وينام معنا "التلفزيون" والقنوات المفتوحة على مصراعيها، تجلب الشر على المسلمين من كل مكان، وكل قناة تريد أن توجهك على كيفيتها، فأنت لم يعد لك رأي، ولم يعد لك هوى، كما يوجهونك تذهب معهم، وأنت متصور أنك رجل متحلل، ورجل منتبه لما يحصل من حولك، وبدلًا من أن نجلس هكذا ولا نشعر بشيء، فأنت ما زدت إلا تخديرًا ، فهذا هو أصل الشر عافانا الله وإياكم الذي أخرج أقواماً من السنة والجماعة، واضطرهم إلى البدعة والشناعة

٢- يقول: وما أمر به المؤمنين من مباينة من خالف عقدهم، ونكث عهدهم، وطعن في دينهم من : مجانبتهم، وترك مجالستهم، والاستماع لأخطائهم وخطابهم؛ فقال تعالى﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا

تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ النساء: ١٤٠ ((الخطل نوع من الخلل العقلي ..... وهذا نهي تحريم بلا نزاع)).

وهذا نهيٌ مُغياً بغاية، يعني من إلى، من أول ما يبدؤون لحين أن ينتهوا، يحرم عليك مجالستهم، لماذا لو لم تعمل؟ إنكم إذاً مثلهم، فإنك إذاً تقع في إقرار الباطل عياذاً بالله، وتصل إلى إقرار الكفر بعد الإسلام، لماذا؟ لأن الشيطان حينما يأتي ويعرض الكفر، أو أولياء الشيطان حينما يأتون ويعرضون الكفر، لن يأتي ويقول لك: اسمع منى لأنني سأشرح لك الكفر! لا، أو اسمع مني لأجل أنني سأسوغ لك الإلحاد، أبداً، أو اسمع مني لأجل أن أعرفك أن البدع ليست سيئة ولا ضلالة .. لاااالاااا، هو يتكلم أنه رجل حريص على الخير، حريص على الحق، ولا بد أن نفهم الإسلام بصدر أوسع، ولا بد أن نفهم الحق بمنظور آخر، ولا بد أن نسمع، إلى أن تجد نفسك، قد أُستدركت في خطوات الشيطان؛ فصرت من أنصاره.

أيضًا يريد أن يقول أن القاعدة هنا : قاعدة هجر أهل البدع والأهواء قاعدة قرآنية، قاعدة نبوية متفق عليها بين أهل الملة الإسلامية، الآية التي معنا هذه، أئمة التفسير مثل الإمام الطبري يقول : في هذه الآية الدلالة الواضحة على أن النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوعٍ، من المبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم، فإذاً هذه الآية فيها دلالة واضحة على النهي عن مجالسة أهل الأهواء، والباطل من كل نوعٍ من المبتدعة، من أول البدع التي هي الخفاف جداً الصغار جدًا، البدع السلوكية أو العبادية، إلى البدع الغلاظ، بدع الإلحاد والكفر بعد الإسلام عياذاً بالله، والنبي محمد - **صلى الله عليه وسلم** - ، كما رأينا في موقف الذين هجرهم رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - من الثلاثة الذين هم أصحاب قصة الغزوة﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ التوبة: ١١٨، أي خلَّفهم الله ورسوله للنظر في حكمهم حتى ينزل الوحي، إما ببرائتهم وإما باتهامهم، وليس معنى أنهم تخلفوا عن رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - بهذا المعنى ، إنما يوجد معنى أدق من ذلك.

الإمام الآجري – **رحمه الله** – ننقل عنه نقل بسيط يقول : وقد مضت الصحابة والتابعون وتابعوهم وعلماء السنة على هذا، مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم، فإذاً هنا عندنا أدب من آداب السنة والجماعة، وللأسف هذا الأدب سِيءَ فهمه أيما إساءة ألا وهو : زجر المبتدع بالهجر، الزجر بالهجر، وطبعاً لأجل أن تأخذ تفصيلًا جيدًا في هذا الكلام، سترجع لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية، كلام متناثر في مواضع كثيرة جدًا جدًا، وجمعها الشيخ العلامة أبو بكر ابن عبد الله موجود برسالة لطيفة بعنوان

"هجر المبتدع" وضع فيها الضوابط الشرعية السلفية قوية جدًا، منضبطة لأجل ألا يكون هناك غلو في المسألة، لماذا؟ لأنه سيأتي بعض المنحرفين، والزائغين الذين عندهم نوع من أنواع الارتياب العقلي، أو نوع من أنواع القصور الذهني، أو الانكباب على الكتب من غير مراجعة أهل العلم الكبار– هذا إن كان يقرأ، يأخذ موقفًا حادًا جدًا ممن بدعهم، وليسوا من المبتدعة، إنما بدَّع أناسًا، وأتى بكل الكتب، وطبقها على هؤلاء الناس، كالذي فهم الإيمان خطأً، والتكفير خطأً، هو اعتقد كفراً في ذهنه، ورمى به الناس، وبدأ يعاملهم بقضايا الولاء والبراء، فهذا انحراف، يماثله تماماً الغلو في تبديع من ليس بمبتدع، أو أنه لا يوجد عنده فارق بين البدعة وبين بعضها، والبدعة مراتب كما سيأتي بيانه إن شاء الله - **عز وجل** –. فنقول أن مسألة ضبط هذه القضية مسألة من الأهمية بمكان، كيف نتعامل مع هذا الأدب السلفي بل السني القرآني في هجران أهل البدع والمعاصي؟

نقول أن هذا نوع من أنواع الدواء، ومن الأدوية ما له أعراض جانبية، ودائمًا أضرب مثالًا بالعقار المشهور جدًا، البنسلين مضاد حيوي واسع المجال، البنسلين طويل المدى وواسع المجال، وكل الناس تعرفه، بإجماع الأطباء أنه دواء ناجح لأمراض كثيرة جدًا، لكن يوجد بعض الناس عندهم حساسية من البنسلين، ولأجل هذا قبل أن تأخذ الحقنة يُجري لك اختبارًا، هل عندك حساسية أم لا ؟ لأنك لو أخذتها مباشرة، وكان يوجد نسبة واحد من ألف أنك تعاني من حساسية ؛ فقد تموت، فهل لأجل أن أعالجه من نزلة برد أقتله؟!! فهل العيب من الدواء أم من أن المداوِي نفسه لا يعرف طبيعة المريض؟ وإن الدواء وكونه مجمع على إنه علاج، لا يُناسب هذه الحالة بعينها فنفس المسألة، هجر المبتدع أو زجره بالهجر دواء ناجح، لكن هناك بعض الحالات لا تتحمل.

فحينما تأتي وتقول أن النبي – **صلى الله عليه وسلم** - مارس الهجر مع هؤلاء الثلاثة، نعم الثلاثة هؤلاء أي ثلاثة؟! الواحد منهم بأمة بأسرها، وأناس تربوا على عين رسول الله – **صلى الله عليه وسلم** - ومجتمع مدني آمن للغاية القصوى، فلو أردت أن تقول إن هذه المدينة الفاضلة فقل ولا تقلق، هي المدينة الفاضلة في عهد رسول الله – **صلى الله عليه وسلم** - ، والمداوِي أفضل طبيب في الكون للنفس والعقل والفكر والبدن رسول الله – **صلى الله عليه وسلم** -، والمداوَى به وحي الله المنزل إلى نبيه – **صلى الله عليه وسلم** -، لا يوجد فيه أي خطأ، فكل الكلام مثل ما في الكتاب وأفضل أيضاً، فالنبي – **صلى الله عليه وسلم** - هو الذي يُعالج والمريض أصحاب النبي – **صلى الله عليه وسلم** -، وقد تربوا على عينه، وهو الضامن تماماً أنه لا يوجد أعراض جانبية لهذا العلاج، والمجتمع مجتمع محترم جدًا، سيدعم هذا العلاج وسيكون محضنًا تربويًا كبيرًا،

وسنخرج بنتيجة؛ ولذلك هُجروا خمسين يومًا - **رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم** - وأُمِروا باعتزال نسائهم، ولم يهتز من إيمانهم شيء، ولم يرقَّ لهم واحد من أهل المجتمع أو يفتح له باب شر.

حتى أن بعضهم أُختبر على المستوى الشخصي، وهو كعب بن مالك - **رضي الله تعالى عنه وأرضاه** - ، جاء له رسالة من ملك غسان مباشرة بالاسم، تخيل إذا جاءك رسالة من ترمب مثلًا يريد وحدك، تعالَ إليّ أساندك، هناك من يتمرمغ على أعتاب الكونغرس ليُفتح لها الباب، وتؤدي كل شيء ولم تحصد شيئًا، وهذا يقول لك تعالَ، جاءته رسالة من ملك غسان أنه قال : قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولن يجعلك الله بأرض مهانةٍ فالحق بنا نواسك، تعالَ إليّ وأنت في جواري ، فقال كعب - **رضي الله تعالى عنه وأرضاه** -: وهذه أيضاً من البلاء، قال : فتيممت بها التنور فزجرتها، مباشرة حرقها لأجل ألا يكون هناك خط رجعة، احرق، ما الخطب لفي أن نبقيها، فقد يجد جديد؟ قد يحتلوا المدينة، وأصير أنا تابعه، لاااالاااا هو رجل قد تربى، لأجل هذا الدواء اختير لمريضٍ لن يحصل له أعراض جانبية، النبي – **صلى الله عليه وسلم** - متأكد تماماً أن الرجل سيُحفظ، وأن العلاج سيأتي بنتيجة.

إذا نظرت في واقعنا : الأخ فلان، لا بد من الإخوة أن تأخذ منه موقفًا، الأخ فلان لا بد من الإخوة أن تهجره، الرجل المسكين سيبدعونه، ثم يمارسون معه هجر المبتدع لا سلام ولا كلام، ومن وقرَّ صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام، ويرص ١٣٠ أثر ١٢٠ أثر، سيأتي بهم متتابعين، من غير نظر في الواقع، والنتيجة أنك ستخسر الرجل، ولن يتغير المنكر بل قد تجره إلى أبشع من ذلك.

الآن في عالم الشباب المساكين البسطاء، شاب التزم في المسجد، ثم عاقر معصية أيًا كانت، فأخذْتَ قرارًا بالهجر، النتيجة بيوت الدعارة مفتوحة، الباب بجوار الباب، الشقة فوق المسجد يتاجرون في المخدرات، ليس المسجد حاشا لله، الموضوع إن الشر قريب جدًا، أصدقاء السوء القدامى تغازله من حين لآخر، حبيبته التي وضع رقمها على اللوحة السوداء ولا في لوحة المحظورات، يفك الحظر وينتهي الأمر، وكل شيء رجع كما كان. فهنا مسألة الهجر تحتاج طبيبًا جراحًا عاقلًا، وتحتاج دراسة واقع واعٍ، فهنا مسألة الهجر التي سنأخذها من هنا إلى آخر الفصول التي معنا، اعلم أنها كنوع، تحتاج إلى ضوابط وإلى قواعد وإلى شروط وإلى احتياطات لأجل أن تنفذها في سين من الناس، أول شيء أن تقيم الحجة على من سميته مبتدعة، وتقول أن هذا بعينه مبتدع أم لا، ولو سلم كونه مبتدعًا بإجماع أهل عصرك، هل ينجح فيه الزجر أم لا ؟ المرحلة الثانية لم تأتِ، إذاً هنا الإشكال خطير، أنك تقرأ في هذه الكتب دون مراعاة أهل العلم.

٣-يقول : وأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم - في الثلاثة الذين تخلفوا عنهم بهجرانهم، ومباينتهم، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم، حتى أنزل الله توبتهم.

٤- **وقال – صلى الله عليه وسلم - : أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، كان الرجل يلقى أخاه فيقول يا هذا اتقِ الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد؛ فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعضٍ ثم قال** ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩﴾ المائدة: ٧٨ – ٧٩، موضع الشاهد الذي اختصرها اختصارًا (كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ). الحديث إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل حديث حسن بشواهده، فالشاهد أن ربنا - سبحانه وتعالى - جعل بني إسرائيل رغم أن القائل منهم قد أنكر، اتقِ الله فإنه لا يحل لك، لكن بعد ما قال هاتين الكلمتين من وراء قلبه، في الصباح : عزم على أن يذهب ويجيء معه، ويزوره، يأكل ويشرب ويجلس معه، فهذا ليس بإنكار المنكر المطلوب، فإذا لم تزل المنكر فزُل.

٥- **وقال – صلى الله عليه وسلم - : مثل القائم على حدود الله و المداهن أو المدهن فيها، كمثل قومٍ استهموا على سفينةٍ في البحر، فأصاب بعضهم أسفلها، وأصاب بعضهم أعلاها، وكان الذين في أسفلها يخرجون ويستقون الماء ويصبون على الذين على أعلاه،** يعني يقع منهم مياه تؤذي الناس الذين في الطابق الأعلى، **فيؤذونهم فقالوا لا ندعكم تمرون علينا فتؤذوننا، فقال الذين في أسفلها أما إذ منعتمونا فننقب في السفينة أو ننقب السفينة من أسفلها فنستقي؛ فقال النبي – صلى الله عليه وسلم - إن أخذوا على أيديهم نجوا جمعيا، وإن تركوهم هلكوا جميعاً)**البخاري.

٦- **وقال النبي – صلى الله عليه وسلم - : افترقت بنو إسرائيل على اثنين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة، فرقةٍ ناجية، وثنين وسبعين في النار،** ونحن قد مر بنا الكلام من قبل، أنه تحقق القول في المخالفة، والطائفة المخالفة متى تصل بمخالفتها إلى حد الفرقة النارية؟ ليس بأي إهانات ولا بأي مخالفات، ولو كثرت تصل حد أن نقول أن الفصيل الفلاني فرقة، الجماعة الفلانية هذه فرقة، الطائفة الفلانية هذه فرقة من الفرق التي قال فيها النبي – صلى الله عليه وسلم - **كلها في النار إلا واحدة**، وهل هم ثلاثة وسبعين بالعدد؟ أو بضع وسبعين فرقة بالعدد؟ أم هذه إشارة إلى التكثير؟ هذا بحث بين أهل العلم – رحمهم الله تعالى وطيب ثرى الجميع -، الشاهد أن الضابط في هذه المسألة مرَّ بنا كثيرًا، أنه لا تكون الفرقة بمخالفتها فرقة نارية، إلا إذا خالفت

في أصلٍ كلي من أصول الاعتقاد، التي أجمع عليها أهل السنة والجماعة، أو كثرت مخالفاتها في الجزئيات بحيث تصل لحد المخالفة في الكلي.

فإذاً هنا مخالفة واحدة في الكليات تُخرج هذا الفصيل، أو هذا الشخص، أو هذه الطائفة، عن دائرة أهل السنة والجماعة إلى دائرة الفرق، كأنه يخالف أهل السنة في قانون الإيمان بالأسماء والصفات جملةً، أو يخالفه في قانون القدر جملةً، أو في قانون الإيمان والكفر جملةً، أو في باب النبوات جملةً، أو في باب مناهج الاستدلال جملةً، هذه أصول كلية عند أهل السنة والجماعة، أو يعتمد أصولًا في الاستدلال غير أصولهم جملةً، كل هذا مُخرج من دائرة أهل السنة والجماعة.

إذًا صاحبُك محافظٌ على الأصول الكلية، لكن عنده نوع من الإهانات والمخالفات سواء مرة في الشريعة، مرة في العقيدة، مرة في الاستدلال، مرة في الأصول، مرة في الاعتماد مرة إلى آخره... فنجمع الموضوع، ليس أنا وأنت من سنجمع، بل أهل العلم الكبار ينظرون في هذا الفصيل، أو في هؤلاء الطائفة، هل وصلت مخالفاتهم الجزئية إلى حد المخالفة في الكلي أم لا ؟ فإذا وصلت سيُفتي أنها صارت فرقة، لم تصل وهذه مسألة نظرية اجتهادية، فهذا خلاف سائغ بين أهل العلم، أنه قد يُفتي فتوى، الفصيل الفلاني، الفريق الفلاني، الطائفة الفلانية، الحزب الفلاني، الطريقة الفلانية مبتدعة أم لا؟ وهم خرجوا من أهل السنة والجماعة أم لا؟ لأن المسألة كلها اجتهاد ونظر، بالقياس!! يجمع الجزئيات، ثم يقول والله وصلت إلى حد المخالفة للكلي، ومن قلده معذور، وهذا أمر اجتهادي يسوغ الخلاف فيه، اتجه العكس، قال لاالاالاالا مهما كثرت لازال بين أنهم يخالفوا في الكلي، فلا زالت هناك مسافة كبيرة في هذا الأمر.

فهنا النبي – **صلى الله عليه وسلم** - لما قال : **افترقت بنو إسرائيل على اثنين وسبعين والأمة تفترق على ثلاثٍ وسبعين فرقة** فأنت تعرف العدد، أو الضابط في الحكم على تجمعٍ معينٍ بأنه فرقة أم لا؟ إذًا المخالفة في الكلي أو كثرة المخالفات في الجزئيات التي تصل إلى حد المخالفة في الكل.

نسأل الله أن يتمه علينا ونحن في عافية في ديننا ودنيانا وصلى الله على نبينا محمد